فرض فرنسا لرقابة صارمة على بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى

د. خالد الفرجاني
باحث تونسي

الملخص:

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى أيقنت فرنسا أنّ كسب ود سكّان المغرب العربي ودفعهم بالتالي إلى مساندتها فيها بالانضمام إلى جيشها يعتبر أحد العوامل الرئيسية لخروجها منتصرة في الحرب، غير أنّها اصطدمت بعدّة عراقيل أهمّها سعي الإمبراطورية العثمانية إلى تحقيق نفس الهدف مستغلّة نفوذها الديني والرّوحي على أهالي المنطقة لأجل ذلك فرضت السلطات الفرنسية طوال مدّة الحرب المذكورة رقابة صارمة على المنطقة المغاربية محاولة التصدّي للدعاية التركية – الألمانية التي تميّزت بحدّتها وشراستها محاولة- كما سبق وأشرنا- دفع سكّان شمال إفريقيا إلى الانضمام إلى جيش الدولة العليّة المسلمة والوقوف في وجه القوى المسحية الكبرى أي فرنسا،أنكلترا وروسيا المستعمرة لعدّة دول إسلامية والمستغلّة لخيراتهم داعية المسلمين أين ما كانوا إلى مقاومتهم وطردهم من أراضيهم، رافعة شعار الجهاد المقدّس الواجب على كل مسلم قادر على حمل السّلاح. وعامل آخر مهم دفع المسؤولين الفرنسيين إلى تشديد الخناق على المنطقة هو اعتماد الدعاية العثمانية- الألمانية على عدّة شخصيات مغاربية متنفّذة مساندة للدولة التركية كإبني الأمير عبد القادر الجزائري: عبد المالك وعلى باشا، صالح الشريف التونسي، الحاج عبد الله بوكبوية، محمّد الخضر حسين وعبد السّلام التيجاني. وتبعا لما ذكر فرضت فرنسا رقابة صارمة على منطقة المغرب العربي شملت الأشخاص (الرعايا الأتراك، الألمان، الأهالي، مجنّدي المغرب العربي سواء الأسرى في المعتقلات الألمانية أو الجرحى في المستشفيات الفرنسية) والصحف ومراسلات المجنّدين والعملة المغاربة.

Abstract

The day after the outbreak of World War I, France sees that among the main factors of his victory is to win the support of the Maghreb people. She also wants to take advantage of this demographic power by admitting the citizens in her army.The strategy of France is hit by many obstacles, the most important of which is the pursuit of Turkey, which already had the same objective. Turkey is a serious threat because it has benefited from its religious and spiritual influence on the people of the region.From 1914, the French authorities maintained a strict control over the Great Maghreb in order to interrupt the vivacity of the Turkish-German propaganda. This war propaganda is to evoke religious emotion. She calls the people of North Africa to join the army of the Ottoman Empire as much as Muslims. She also recognizes the need to oppose the great Christian powers. Turkish-German propaganda reminds Muslims that France, England and Russia are colonial powers and among the main enemies of the Muslim population. Indeed, the "Holy Jihad" is a duty for every Muslim.Another important factor has pushed France to strengthen the control of the region is the existence of many Maghreb personalities who support the Ottoman Empire and are part of their propaganda as: Abdel Malek and Ali Pasha (son of Amir Abdel Kader), Tunisian Saleh Cherif, Hadj

Abdallah Bou Kabouya, Mohamed Khedr H'Cin and Abdelsslem Tidjani.To avoid the risk of Turkish-German propaganda, the French authorities have strengthened control of the Maghreb region. In the first place, they imposed a strict control of the people (Turks, Germans, natives, Maghrebi soldiers prisoners in the German prisons or wounded in the French hospitals). In the second place, the French authority monitored the correspondence of the Maghreb soldiers and workers and the newspapers.

الكلمات المفتاحيه: المغرب العربي/ الحرب العالمية الثانية/ فرنسا

مقدمة:

حاولت الدولة الفرنسية منذ بداية الحرب العالمية الأولى كسب ودّ سكّان المغرب العربي علّها تنجح بذلك في دفعهم إلى مساندتها في تلك الحرب بالانضمام إلى جيشها والذي سيكون عامل أساسي في خروجها منها منتصرة إن نجحت في ذلك، لأجل ذلك ولمعرفتها مسبّقا بكره أهالي المنطقة المغاربية لها باعتبارها دولة مستعمرة لهم ومستحوذة على خيراتهم المختلفة، خاصّة أنّهم عبّروا في مناسبات عديدة على نقمتهم عليها محاولين مقاومتها بكل الوسائل الممكنة والحصول في النّهاية على استقلالهم وتحرير أراضيهم المهيمن عليها من قبل المعمّرين الفرنسيين، حاولت القيام بدعاية واسعة مجمّلة لصورة فرنسا، صديقة المسلمين والمحسنة لهم والمحترمة لدينهم والمشوّهة في المقابل لصورة الحلف التركي- الألماني الهمجي، المتوحّش والمعادي للمسلمين ولدينهم – كما جاء في دعايتها- ولتحقيق ذلك الهدف وباعتبار أنّ الرقابة تعتبر إحدى العوامل الرئيسية لنجاح أية دعاية سياسية والتصدّي في المقابل للدعاية المضادة والتعرّف على خططها وأساليبها المختلفة والأطراف المشرفة عليها قامت الدولة الفرنسية بفرض رقابة صارمة شملت الأشخاص (أي الأتراك- الألمان- الأهالي- المجنّدين- العملة) والأفكار (أي الصحف والمراسلات) وهو ما سنحاول التطرّق إليه في هذا المقال من خلال التعرّض أوّلا إلى أهمّ الأسباب التي دفعت بدولة الاحتلال إلى اتّخاذ ذلك الإجراء (أي الرقابة) ثمّ ثانيا التطرّق إلى الأطراف التي فرضت عليها الرقابة.

I- الأسباب:

1-حدّة الدعاية العثمانية- الألمانية:

لقد اتّضح للأطراف المتنازعة أثناء الحرب العالمية الأولى أنّ الأسلحة التقليدية لم تعد كافية لوحدها لكسب المعارك بل برز عامل آخر مهم وله دور بارز في تحديد نتيجة الحرب وهو العامل الدعائي، لذلك قامت الدولة العثمانية – آنذاك – بمساندة حليفتها ألمانيا بدعاية تميّزت بشراستها من أجل كسب ودّ العرب لضمّهم إلى صفّها نظرا لوزنهم الهام في ترجيح كفّة الحرب لصالحها إن نجحت في ذلك مستغلّة نفوذها المعنوي والدّيني بإعتبارها مركز الخلافة الإسلامية والمدافعة عن دينهم المهدّد من قبل القوى التقليدية الثلاث أي فرنسا، أنكلترا وروسيا.

لقد ركّزت الدولة العثمانية في دعايتها على الجانب الدّيني مستغلّة نفوذها الرّوحي – كما سبق وأشرنا -، فقد برّر السّلطان العثماني اشتراك دولته في الحرب بالدّفاع ليس فقط عن حقوقه وإنّما خاصّة الدّفاع " ... عن الرّاية الإسلامية والوطن" [1] الذي أصبح مجزّأ بسقوط أجزاء منه في يد القوى الاستعمارية وأصبحت شعوبه خاضعة لهيمنة القوى الثلاثة فلحقها نتيجة لذلك ذلّ ومهانة وهو ما أكّده بنفسه بقوله " يوجد تحت سلطة دول الاتّفاق الثلاثي ملايين من المسلمين محرومين من حقوقهم ويذوقون العذاب ألوانا" [2] لذلك دعا جيوشه إلى أخذ السّلاح للدفاع عن حقوق حكومته وعن وجود الإمبراطورية التي تعرّضت لاعتداءات غير مبرّرة من طرف الأعداء منذ بداية الحرب.

إنّ حرص السّلطان العثماني على كسب تعاطف المسلمين بما فيهم سكّان المغرب العربي ودفعهم بالتالي إلى الانضمام إلى الجيش العثماني جعله يعمد في بيانه الموجّه إلى جيوشه إلى التشديد على ضرورة الاستبسال في الدّفاع عن الوطن والدّين الإسلامي مذكّرا إيّاهم بجذورهم الشريفة قائلا " ... يا عساكرنا الشّجعان والأبطال: إنّ الدّين والوطن صاحا صيحة كبرى، وطلبا منكم التّضحية بأرواحكم من أجل نصرتهما...إنّ ثلاثة مائة مليون من المسلمين أنظارهم متوجّهة إلى الله والكعبة ثمّ إليكم...، عساكرنا وأبنائنا الأعزّاء...، أنتم أنجال السلف الصالح الذين كان يحترمهم جميع الأعداء، كما أنّهم دافعوا عن البلاد المقدّسة والقبر النّبوي الشّريف، فلتبرهنوا للأعداء أنّه يوجد إلى الآن جيش وأسطول عثمانيين يدافعان بقوّة الأسلحة عن الرّاية الإسلامية والوطن والجنّة"[3].

لقد ذهب السّلطان العثماني في إطار حرصه على تحميس جيوشه ودفع المسلمين أين ما كانوا إلى مساندته في الحرب إلى حدّ القول بأنّ مواجهة الجيوش العثمانية لدول الاتّفاق الثلاثي هي بمثابة الجهاد في سبيل الله لتخليص المسلمين الواقعين تحت سلطة تلك القوى الاستعمارية من الذلّ والمهانة قائلا: " ...أيّها الجيش الباسل إلى الجهاد في سبيل الله فالله معانا...، أنّ النّصر الأخير سيكون لجيوشنا للدفاع عن حقوق الله ونبيّه صلى الله عليه وسلّم إنّ الأعداء وضعوا جيوشهم في حدودنا مثل الروسية في القوقاز كما أنّ أسطول المتحزّبين ضرب العقبة والدردانال، عساكرنا الشجعان والأبطال، إنّ الدّين والوطن صاحا صيحة كبرى وطلبا منكم التضحية بأرواحكم من أجل نصرتهما"[4].

إنّ حرص الدولة العثمانية على دفع العالم العربي والإسلامي خاصّة إلى الانضمام إلى الدولة العثمانية وجنودها، جعلها تعمد أيضا إلى إصدار فتوى تتعلّق بالجهاد ضدّ الحلفاء قامت لها بدعاية واسعة من أجل نشرها في كل دول العالم الإسلامي.

لقد أشارت الدولة الفرنسية بكل وضوح إلى تاريخ الإعلان عن " الفتوى الشريفة " وهو يوم الجمعة 14 نوفمبر 1914[5] وقد حرّرها شيخ الإسلام – آنذاك – خيري بن عون الأركوبي وهو من عائلة عون المنافسة لبني هاشم[6]. لقد جاءت الفتوى المذكورة في شكل خمسة أسئلة وقعت الإجابة عليها في خمسة أجوبة: لقد اعتبرت الفتوى أنّ مهاجمة القوى المسيحية المعادية للعالم الإسلامي وما إنجرّ عنها من سقوط عدّة مناطق تحت سيطرتها واستحواذهم بالتالي على ثروات المسلمين وممتلكاتهم كل ذلك " ...فرض عليهم جميعا الجهاد استجابة لأمر خليفة الإسلام "[7] وعملا بقوله تعالى: " أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم"[8].

وحتى يزيد استنهاض المسلمين بما فيهم طبعا سكّان المغرب العربي ذهب شيخ الإسلام إلى القول بأنّ الجهاد " فريضة عين " على كل مسلم وفي كل البلاد الإسلامية مضيفا أنّ ما لحق بهذه الأخيرة من ذلّ ومهانة كان نتيجة وقوع عدّة مناطق تحت الاستعمار الغربي المسيحي المعادي للإسلام والمتمثّل خاصّة في فرنسا، أنكلترا وروسيا كل ذلك يوجب – على حدّ قوله –على كافّة " المسلمين...شبّانهم وشيبهم ومشاتهم وفرنسانهم المنتشرين في جميع الأقطار الجهاد كفرض عين عليهم بالأموال والأنفس"[9].

إنّ حرص " فتوى الجهاد" على دفع المسلمين أين ما كانوا، خاصّة منهم الواقعين تحت الإستعمار الفرنسي، على الوقوف في وجه العدو المسيحي المستحوذ على خيراتهم المختلفة، جعلها تعتبر أنّ كل المتخلّفين عن الجهاد وكل المتخاذلين على الدفاع على راية الإسلام مذنبين، معتبرة أنّ ذلك " ... يعدّ معصية عظيمة تجعلهم مستحقين للغضب الإلهي ..." [10] ، داعية إيّاهم في نفس الوقت إلى الامتناع عن محاربة جنود الدولة العثمانية إخوانهم في الدّين لأنّ ذلك حرام شرعا.

إنّ ما تجب الإشارة إليه هو أنّ شيخ الإسلام خيري بن عون الأركوبي في إطار حرصه على تثوير المسلمين ضدّ مستعمريهم المسيحيين ولجعل الدعاية العثمانية المدعومة من قبل ألمانيا أكثر قوّة جعله لا يكتف بإصدار " الفتوى الشّريفة " حيث عمد في مرحلة ثانية إلى نشر بيان " محلّا بالإمضاء الإمبراطوري، وحاملا لتوقيع جلالة السّلطان بتاريخ 22 نوفمبر 1914"[11] وحتى ينجح البيان المذكور في دوره الدعائي وتكون له جدوى كبيرة أمر بنشره في كامل العالم الإسلامي.

إنّ حرص شيخ الإسلام على دفع المسلمين إلى مساندة الدولة العثمانية والوقوف في وجه العدو المسيحي جعله يؤكّد في بيانه على نفس المعاني والمفاهيم التي جاءت في الفتوى المذكورة، خاصّة مفهوم الجهاد: ففيه أعلن " أنّ الجهاد المقدّس – الذي دعا إليه كل المسلمين – قد أعلن ضدّ أعداء الإسلام الذين أظهروا وأكّدوا عداوتهم بمهاجمتهم لمقرّ الخلافة، موضّحا أنّ الشريعة الإسلامية تأمر بإقامة علاقات ودّية متبادلة مع القوى التي تحترم المعاهدات وتدلّل على صداقتها لحكومة السلطان "[12].

لقد دعا البيان المذكور المسلمين إلى الانضمام إلى الدولة العليّة ومساندتها في الوقوف في وجه القوى الامبريالية والالتفاف حول السلطان العثماني باعتباره خليفة المسلمين لذلك أكّد شيخ الإسلام في بيانه على أنّ من يدعوهم هو خليفة رسول الله وذلك حتى يذكّرهم بمنصب الخليفة الممثّل الشّرعي للمسلمين والجامع لهم لذلك جاء فيه (أي البيان) أنّ "خليفة رسول الله يدعوكم أيّها المسلمون المنتشرون في كل أنحاء العالم إلى الجهاد "[13].

لقد عمد البيان المذكور في مرحلة موالية إلى استفزاز المسلمين وذلك عبر المقارنة بما كانوا عليه في الماضي القريب المشرق أين كان المسلمون متفوّقون في جميع المجالات وحاضرهم البائس الذي أصبحوا فيه مهدّدين من كل جهة من قبل فرنسا، أنكلترا أو روسيا داعيا إيّاهم بالتالي إلى الاستفاقة من الخمود والرّكود الذي أصابهم، فقد جاء فيه قوله:" هبّو من سباتكم ولبّوا دعوة خليفتكم...، وقاتلوا الكفّار وأنصروا دين الله... أيّها المؤمنون كنتم خير أمّة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر تؤمنون بالله ولا تشركون به أحد، تأبون الضّيم ولا تقيمون على الخسف، فكيف بكم اليوم وقد هاجمكم الكفّار من كل صوب وحدب

لاستعبادكم وتهديم صروح مجدكم وتدمير بنيان عزّكم، فكيف بكم اليوم وقد باغتكم الكافرون أعداء دين الله وأعداء رسوله، مرادهم تهديم كعبتكم وتدمير صرح نبيّكم ومحو دينكم وسحق قرءانكم وقتل أبنائكم واستحياء نسائكم، استهانوا بدينكم وأنتم قعود ويسخرون بقرءانكم وأنتم جمود، واستباحوا أعراضكم وأنتم رقود..." [14].

إنّ ما نلاحظه هنا هو تأكيد البيان المذكور في عديد المرّات على أنّ دعوة الجهاد صادرة عن الخليفة، هدفه في ذلك دفع المسلمين إلى الالتفاف حوله ومساندته بالانضمام إلى جيشه للوقوف في وجه العدوّ المسيحي، باعتباره خليفة الرّسول وبالتالي وجبت على المسلمين كافّة طاعته والاستجابة لدعوة الجهاد لذلك خاطب البيان المسلمين قائلا: " ...إنّ كل مؤمن...سيلبّي دعوة خليفة رسول الله ويبادر إلى الجهاد" [15] مضيفا " إنّ خليفة رسولكم قد أعلن الحرب والجهاد الأكبر"[16].

لقد عمد النّداء المذكور في جزءه الأخير حرصا منه على مزيد تحميس المسلمين على الانضمام إلى الجيش العثماني والاستجابة إلى دعوة الجهاد المقدّس إلى تذكير المسلمين بمكانة الشّهداء عند الله وهي الجنّة التي تعتبر مطمح كل مسلم، فوفق ما جاء فيه فإنّ الله قد " وعد...الشّهداء بالجنّة، والجنّة تحت ضلال السّيوف...، فما أشهى- على حدّ قوله – الموت بالمؤمن الصادق (المسلم) في ساحة الجهاد إذ يموت شهيدا، وقد بشّر الله شهداءه بالجنّة " [17] وحتى يكون ما جاء فيه مقنعا عدّد البيان المذكور الآيات القرآنية المحرّضة على الجهاد والمبرزة لفضائله من ذلك قوله تعالى: " ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون "[18] كذلك قوله تعالى: " يا أيّها النبيّ حرّض المؤمنين على القتال "[19] وقوله أيضا: " يا أيّها النّبي جاهد الكفّار والمنافقين "[20] وقوله تعالى: " ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما "[21].

لقد عملت الدولة العثمانية بمساندة حليفتها ألمانيا على الدعاية " لفتوى الجهاد المقدّس" في كل دول العالم الإسلامي بما فيها خاصّة الواقعة تحت الاستعمار الفرنسي، الانكليزي والرّوسي والتي من بينها طبعا بلدان المغرب العربي، حاثّة الشّعوب الإسلامية أين ما كانت إلى مساندة الحلف العثماني- الألماني في حربه ضدّ العدو المسيحي وذلك بالانضمام إلى الجيش العثماني، لأجل ذلك وقعت ترجمة الفتوى المذكورة إلى كل اللّغات الناطقة بها شعوب العالم الإسلامي، وتمّ نسخ الآلاف منها لتوجيهها لتلك الأمم معتمدة في ذلك على دعاية واسعة وشرسة وفّرت لها الإمكانيات اللاّزمة سواء كانت مادّية أو بشريّة. كما قامت ألمانيا بالترويج لفتوى الجهاد على أوسع نطاق ممكن، حيث قامت وكالة فولف الألمانية[22] (l'agence Wolf) بالترويج لها.

إنّ ما يجب التذكير به في هذا الجانب هو أنّ الدعاية العثمانية قد اعتمدت على دعاية شرسة ومتنوّعة في وسائلها للترويج لفتوى الجهاد فإلى جانب الصحف اعتمدت كذلك على رجال الدّين بما فيهم الأيمّة والخطباء حيث طلبت منهم الدعاية لها داخل المساجد وفي صفوف المسلمين وفي هذا الإطار وجّه مفتي أزمير المسمّى جعفر زاده أحمد أفندي" منشورا إلى الأيمّة والعلماء يأمرهم بالدّعاء بالنّصر لجيوش الإسلام "[23].

لقد عملت الدعاية العثمانية – الألمانية بكل الوسائل الممكنة على تثوير مسلمي المستعمرات الفرنسية، الأنكليزية والروسية ضدّ مستعمريهم ودفعهم إلى مساندة الحلف التركي الألماني بالانضمام إلى جيش الدولة العليّة، محاولة إقناعهم بأنّ قتالهم إلى جانب دول الحلف الثلاثي يعتبر معصية كبيرة يستحقّون عقاب

الله عليها لأنّهم يقاتلون في صفوف دول كافرة تسعى للقضاء على الإسلام والمسلمين، هذا فضلا على أنّ انضمامهم لتلك القوى المسيحية يعدّ مخالفا لشرع الله باعتبارهم يقاتلون ضدّ إخوانهم في الدّين أي العثمانيين المسلمين، تبعا لما ذكر حاولت الدولة الفرنسية فرض رقابة صارمة على سكّان المغرب العربي في محاولة منها للحدّ من تأثير تلك الدعاية عليهم والتصدّي لها بكل الوسائل الممكن.

2- خدمة عدّة شخصيات مغاربية للدعاية التركية- الألمانية:

إنّ خدمة عدّة شخصيات مغاربية للدعاية التركية- الألمانية يعد من العوامل الرئيسية التي دفعت بالدولة الفرنسية إلى فرض رقابة صارمة على سكّان المغرب العربي، حيث لم تكتف الدعاية العثمانية – الألمانية في إطار حرصها على تثوير المسلمين ضدّ الحلفاء، خاصّة الواقعين منهم تحت استعمار الدول المذكورة سابقا، بالاعتماد فقط على الصحافة ورجال الدّين والعلماء وغيرهم وإنّما اعتمدت أيضا على عدّة شخصيات وطنية كانت تتمتّع بوجاهة ونفوذ كبيرين ولكنّها – رغم ذلك – خيّرت الهجرة في ظلّ واقع استعماري مرير خصوصا وأنّها شخصيات اشتهرت بولائها للدولة العثمانية الأمر الذي جعل هذه الأخيرة تعمل على استغلالها كعامل دعائي هام نذكر منهم:

- ابني الأمير عبد القادر الجزائري: الأمير عبد المالك[24] وعلي باشا:

لقد عمل السلطان العثماني على كسب ود عائلة الأمير عبد القادر والحصول على تأييدها في دعايته خاصّة وأنّها كانت تتمتّع بنفوذ كبير ومكانة اجتماعية ووجاهة في المشرق بصفة عامّة خاصّة لدى المهاجرين المستقرّين في بلاد الشام [25] لذلك أعطى تعليماته لواليه بدمشق لتحقيق ذلك قائلا: " ... يجب عليكم أن تعملوا بسرعة وتبذلوا كل ما في وسعكم لفصل عائلة الأمير عن فرنسا نهائيا: عدوها بالرتب العسكرية السّامية وبالعطاء الجزيل، فإذا ما توصّلتم إلى ذلك فسوف نتمكّن بدون شكّ من جلب الجزائريين في سوريا إلى صفوفنا، وهذه هي الوسيلة الوحيدة التي نستطيع بواسطتها تجريد فرنسا من ادّعاءاتها التي تتذرّع بها للتدخّل في المنطقة..."[26].

من أجل ذلك تعدّدت تحرّكات المسؤولين العثمانيين الذين نجحوا بالفعل في كسب ودّ علي باشا وعبد المالك اللّذين لعبا دورا كبيرا في الدعاية لفتوى الجهاد ودعوة المسلمين إلى الانضمام لإخوانهم في الدّين أي العثمانيين وحليفتهم ألمانيا صديقة المسلمين.

لقد لعب علي باشا دورا بارزا في الدعاية العثمانية- الألمانية محاولا إقناع المسلمين خاصّة منهم الواقعين تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي والانكليزي بمساندة الدولة العليّة وذلك بالانضمام إلى جيشها، حيث قام في هذا الإطار بزيارة أسرى شمال إفريقيا في برلين محاولا إقناعهم بالانضمام إلى الجيش العثماني[27].

إنّ حرص الشخصية الجزائرية على دفع سكّان المستعمرات المذكورة على الانضمام إلى الجيش العثماني جعله يعمد في مرحلة ثانية إلى توجيه نداء في شكل رسالة مفتوحة إلى سكّان المستعمرات الفرنسية بالمغرب العربي جاءت تحت عنوان " كذب الفرنسيين على الموتى" بيّن فيها عداء الفرنسيين للعرب وكرههم للدّين الإسلامي وللمسلمين، مفنّدا ما كانت تنشره – آنذاك – الجرائد الموالية لهم ك La Dépêche

Marocaine التي أكّدت في عددها 164 و165 على أنّ والده الأمير عبد القادر " وأولاده وأقاربه كانوا محبّين لفرنسا ومائلين لها "[28] ، مؤكّدا أنّ والده الأمير عبد القادر تميّز طيلة حياته بعدائه لفرنسا ومقاومته لها فقد " ناصبها العداء وحاربها طيلة ستّة عشرة سنة وتوفّي ساخطا عليها، لاعنا لها وأنّ أبنائه وحاشيته على مذهبه لأنّهم لم يرو – على حدّ قوله – من الفرنسيين إلاّ البلاء والظلم ...، وأنّ أهل تونس والجزائر أقوى شاهد على كذبهم، إذ كيف يمكن لهم موالاة فرنسا التي كالت للعرب الذلّ والهوان، ثمّ ساقتهم إلى ...هذه الحرب الضّروس مجبورين مقهورين، تاركين أطفالهم ونسائهم بدون عائل ولامعين، ساقتهم فرنسا إلى القتال لغايتها ومصالحها الذّاتية، ساقتهم ليقاتلوا إخوانهم في الدّين والملّة...، واضعة إيّاهم في مقدّمة الصّفوف ليكونوا عرضة لأوّل نار تخرج من أفواه المدافع، فمات منهم من مات..." [29] وتبعا لذلك فإنّ فرنسا على حدّ قول علي باشا هي " أمّة الزّور والكذب، أمّة الغش والرّياء..." [30] ، داعيا مسلمي شمال إفريقيا أن يقوموا " يدا واحدة باسم الله تعالى، وباسم الجهاد والدّين والشرف والذمّة ليرفعوا عن أعناقهم نير الاستعباد ويكسروا قيود الاسترقاق "[31].

وفي مقابل تلك الصورة القاتمة التي قدّمها الرجل المذكور لفرنسا وسياستها حاول تجميل صورة ألمانيا المحسنة للإسلام والمسلمين، مشيدا خاصّة بحسن معاملتها للأسرى المسلمين الذين حرصت على توفير كل الظّروف الملائمة لأداء فرائضهم الدّينية، حيث بنت لهم جامعا كان لتشييده تأثيرا إيجابي على أنفسهم إلى درجة أنّهم أصبحوا – على حد قول – علي باشا " يدعون للدولتين العثمانية والألمانية بالنّصر والتمكين، ويتمنّون لو أنّهم كانوا في صفوف إخوانهم يقاتلون معهم جنبا إلى جنب أعداءهم وأعداء الإسلام ليطهّروا أنفسهم من الأثم والوزر الذي جرّهم إليه أعدائهم "[32].

أمّا بالنسبة لعبد المالك فقد تميّز – هو الآخر- بعداوته لفرنسا ومساندته لسياسة الجامعة الإسلامية التي كان يرى فيها الرابطة القويّة القادرة على مساعدة المسلمين على استعادة ماضيهم المشرق، حيث كان يعتقد أنّ " الدولتين الألمانية والعثمانية تجتهدان بكل الوسائل للانتصار على أعداء الإسلام وأنّ أنور باشا سيرسل ضبّاطا عثمانيين جددا بصحبة ضبّاط ألمان لإعانة المسلمين على التحرّر من الفرنسيين دمّرهم الله"[33]، الأمر الذي جعله " يرسل ويوجّه المناشير إلى الجزائر وتونس لإعلام أهلها بالجهاد معتبرا أنّ اليوم المنتظر أصبح – على حدّ قوله – قريبا جدا...، وليعلم أعداء الإسلامية في العالم أنّ قلوب الملايين من المسلمين تخفق اليوم بكلمة الجهاد المقدّس"[34].

لقد لعب علي باشا وشقيقه عبد المالك دورا كبيرا في الدعاية للجهاد المقدّس والتحريض على الانضمام إلى الحلف التركي – الألماني لمواجهة القوى المسيحية المذكورة سابقا مستغلّين مكانتهم الاجتماعية الرفيعة (باعتبارهما أبناء الأمير عبد القادر) في المنطقة المغاربية.

- **صالح الشريف التونسي** : يعتبر من أبرز الشخصيات المغاربية التي استفادت منها كثيرا الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا للدعاية لفتوى الجهاد ودفع سكّان المغرب العربي إلى مساندة الدولتين، حيث كانت له عدّة مقالات ومؤلّفات دعائية مساندة للحلف المذكور ومعادية لفرنسا من بينها نذكر:

- **الجهاد فريضة مقدّسة**: عمد من خلاله صالح الشريف إلى الاستشهاد بكل الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد ومحاربة الكفّار لعلّه ينجح بذلك في تحفيز المسلمين للدفاع عن دينهم ودفعهم بالتالي إلى مساندة الدولة العثمانية المسلمة في مواجهة العدو المسيحي، لذلك كتب في صفحة الغلاف الخارجي قوله تعالى:" فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم وأقعدوا لهم كل مرصد " [35] وكذلك قوله " فقاتلوا أيمّة الكفر إنّهم لا أيمان لهم "[36].

لقد أكّد صالح الشريف في كراسه الدعائي على أنّ تخلّف المسلمين وضعفهم كان نتيجة تفكّكهم وانشغالهم بخلافاتهم الداخلية، وهو ما جعلهم – وفق تقديره- أهدافا سهلة لأعدائهم، داعيا إيّاهم إلى التوحّد وتجاوز كل الخلافات وتجسيد معنى " الأخوّة " الذي يحتّم عليهم نبذ التحاسد والتنافر و" الوقوف صفا واحدا يشدّ المسلمون بعضهم ذراعا بذراع حتى يصبح كتلة واحدة تتحرّك بكلمة واحدة وقلب واحد، فيهبّوا في جهاد عام يفرض فيه على كل المسلمين شيبا وشبابا حمل السّلاح والإسراع بمباشرة التدريب العسكري لاكتساب الخبرة ..." [37] ، داعيا في نفس الوقت إلى ضرورة توفير التجهيزات العسكرية والمادية اللازمة لمواجهة العدو مصداقا لقوله تعالى: " وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة..."[38].

إنّ حرص صالح الشريف على مزيد تحميس المسلمين وإثارتهم وبث الحميّة الدّينية في نفوسهم جعله يعمد في مرحلة موالية إلى تذكيرهم بالوضع الكارثي الذي أصبحت عليه أغلب الدول الإسلامية فبلاد " الهند العظيمة أمّة أسيرة بأيدي حفنة من كفّار الانكليز...لا يذكر عددهم أمام الملايين من الشّعب المسلم في الهند... ومسلمو جاوة – الذين يعدّون بين ثلاثين وأربعين مليون –خاضعون للكفّار... ومسلمو الجزائر ومراكش وتونس والسودان جميعهم في الحالة نفسها من الذلّ والعبودية ...كما أنّ سيبيريا وتركستان والصّين وبخارة والقرم والقفقاس وقازان واسترخان وقازاخستان خاضعة لأعداء الدّين، ذليلة أمامهم...كما أنّ عاصمة الخلافة نفسها في خطر داهم من الأعداء..."[39] على حدّ قوله.

لقد أرجع صالح الشريف تخلّف المسلمين وضعفهم إلى ابتعادهم عن الدّين الإسلامي وأركانه التي من أهمّها الجهاد في سبيل الله، الذي اعتبره العامل الرّئيسي لإفتكاك المسلمين لأراضيهم المنهوبة من قبل القوى الاستعمارية المسيحية وبالتالي استرجاع ماضيهم المجيد، معتبرا أنّ الجهاد يعتبر فرضا على كل مسلم استجابة لقوله تعالي: " وأقتلوهم حيث ثقفتموهم، وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشدّ من القتل "[40] ، وتبعا لذلك اعتبر الشريف أنّ " قتل واحد من الكفّار المتسلّطين على المسلمين يعتبر إحياء للإسلام"[41].

إنّ حرص الرجل المذكور على مزيد استنهاض همم المسلمين أكثر ما يمكن جعله يذهب إلى حدّ إلزام كل مسلم " بأن يقسم...، ويتعهّد بقتل ثلاثة أو أربعة على الأقل من الكفّار...أينما وجدوا...وسيعتبر قيامه بذلك – على حدّ قوله – تنفيذا لواجب أخلاقي عظيم وسيكون ثوابه على فعل ذلك مضاعفا عند خالق السماوات والأرض، وأجره عليه أعظم من أجر صيام رمضان، وسينقذه الله من خوف يوم الحساب، يوم البعث الأكبر..."[42] وفق تقديره.

إنّ ما تجب الإشارة إليه هو أنّ صالح الشريف لم يكتف في كرّاسه الدعائي بالدعوة إلى الجهاد فقد وإنّما عمل كذلك على تحريض المسلمين على العصيان وضرب المصالح الاقتصادية للبلدان الاستعمارية مؤكّدا في المقابل على مساندة الدولة العثمانية وذلك ب:

- مقاطعة شراء أي شيء من الكفّار حتى ولو كان تافه القيمة
- رفض الامتثال لأوامر الكفّار الذين يحكمون المسلمين
- الامتناع عن دفع الضرائب
- إرسال المسلمين "...لإعانة مالية وخيرية إلى عاصمة الخلافة..."[43].

- **إرشاد العباد إلى حقيقة الجهاد**[44]: يمكن القول أنّ هذا الكرّاس جاء مكمّلا للكرّاس السابق حيث واصل صالح الشريف حديثه عن الجهاد مقدّما مفهومه والأطراف المستهدفة به:

فالجهاد- بالنسبة إليه- هو دعوة المسلمين إلى مقاتلة القوى المسحية المعادية للإسلام وللدولة العثمانية فقط وبالتالي فإنّ ألمانيا – حسب قوله – ليست مقصودة بدعوة الجهاد باعتبارها صديقة الدولة العلية وحليفتها بالتالي فهي حامية لها وللإسلام [45]، ليخلص إلى القول بأنّ الجهاد موجّه أساسا ضدّ فرنسا، روسيا وأنكلترا، المعادين للإسلام وللدولة العثمانية، لذلك فالجهاد – حسب تقديره – ليس "حرب انتقام وتعصّب ديني ضدّ من لا يدينون بالإسلام" [46] مصداقا لقوله تعالى " لا إكراه في الدّين "[47] وكذلك قوله تعالى: " لكم دينكم ولي ديني "[48].

لقد قدّم صالح الشريف في تعرّضه لمسألة الجهاد مفهوما جديدا حاول من خلاله خدمة الحلف العثماني الألماني، فالمفهوم التقليدي له يوجب الجهاد ضدّ كل القوى الكافرة، غير أنّه جعله موجّها فقط ضدّ أعداء الإسلام والدولة العثمانية، مستثنيا بذلك ألمانيا حليفة الدولة العلية، كل ذلك أملا في دفع المسلمين إلى الوقوف إلى جانب ذلك الحلف ومساندته في الحرب.

- **شرح دسائس الفرنسيين ضدّ الإسلام وخليفته**[49]: أكّد فيه صالح الشريف على أحقيّة العثمانيين بالخلافة، معتبرا أنّ الشروط الشّرعية اللازم توفّرها في أي خليفة قد توفّرت في السلطان العثماني، فالخلافة – وفق قوله – انتقلت إلى " آل عثمان بالقانون الشّرعي، وتسلسلت في عقبهم بطريق الوصاية الشّرعية إلى أن انتهت إلى مولانا السّلطان الغازي أمير المؤمنين وخليفة رسول ربّ العالمين محمّد رشاد الخامس..."[50].

إنّ تأكيد الرجل المذكور على أحقّية السلطان العثماني بالخلافة هدفه دفع المسلمين إلى الالتفاف حول الدولة العليّة ومعاضدتها، لذلك اعتبر أنّ كل متخلّف عن أداء ذلك الواجب مذنب في حق الإسلام والمسلمين وبالتالي وجب قتله وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله أنّ "كل من نازع في الخلافة المذكورة، أو ادّعاها يجب على العالم الإسلامي أن يقتله حتى لا تتفرّق كلمة الإسلام..."[51].

إنّ حرص صالح الشّريف على دفع المسلمين على مساندة الدولة العثمانية والالتفاف حول سلطانها خليفة المسلمين الشّرعي جعله يذهب إلى القول بأنّ العالم الإسلامي بأكمله وجب عليه " أن يمتثل لأمر الخليفة الأعظم...، وينقاد إليه قلبا وقالبا في كل ما أمر به ونهى عنه..."[52].

إنّ ما وجبت الإشارة إليه هو أنّ صالح الشّريف في إطار حرصه على دعوة المسلمين إلى مساندة الدولة العثمانية بالانضمام إلى جيشها جعله لا يكتف بالكراريس السابقة الذكر وإنّما قام كذلك بتوجيه رسالة مفتوحة إلى سلطان المغرب الأقصى " مولاي يوسف "دعاه فيها إلى تحمّل مسؤوليته في مواجهة العدو الفرنسي ودفع المغاربة إلى الاستجابة إلى نداء الجهاد ضدّ أعداء الإسلام أي الفرنسيين المغتصبون لأراضي المغرب الأقصى، موجّها خطابا حادا للسلطان المذكور، جاء فيه قوله أنّه في صورة عجزه عن الوقوف في وجه المستعمر الفرنسي فما عليه "إلاّ أن يترك الملك الموهوم ويرفع تلك الغشاوة الكاذبة عن أعين الأمّة، وأن يتنحّى عن صدورها وأفواهها"[53].

لقد لعب صالح الشّريف دورا كبيرا في الدعاية العثمانية-الألمانية لذا عملت الدولتان على استغلال مؤلّفاته الدعائية والترويج لها في كل بلدان العالم الإسلامي بما فيه خاصّة منطقة المغرب العربي، لأجل ذلك وقعت ترجمة كراريس الرجل إلى عدّة لغات وطبعت أعداد كبيرة منها.

- الحاج عبد الله بوكبوية [54]: وهو من تيرايور الجزائر وقد لعب دورا بارزا في الدعاية العثمانية-الألماني، فقد أشارت التقارير الفرنسية إلى تأليفه لكرّاسين دعائيين هاجم فيهما فرنسا وسياستها، حمل الأوّل عنوان " **الإسلام في الجيش الفرنسي " (l'Islam dans l'armée Française)** في حين كان الثاني بعنوان " **الجنود المسلمون في خدمة فرنسا" Les soldats musulmans au service de la France**، أبرز فيهما المعاملة الفرنسية السيّئة لمجنّدي المغرب العربي من حيث لباسهم وتموينهم، هذا إلى جانب وضعهم - على حدّ قوله – في الصفوف الأمامية كدروع بشريّة، حماية للفرنسيين، مؤكّدا في المقابل على العلاقة النموذجية التي كانت تجمع مسلمي شمال إفريقيا بالدولة العثمانية التي يمكن لهم التعويل عليها لحمايتهم، لذلك دعاهم في المقابل إلى ضرورة أن يقابلوها بالخضوع والطّاعة الأخويّة "[55].

كما نجد كرّاس أخر للشخص المذكور بعنوان " **الأتراك لتركيا " (Les Turcos...à la Turquie)**، أكّد فيه على عدّة نقاط من أهمّها:

أنّ العلم العثماني يمثّل – حسب رأيه – كل المسلمين بما فيهم خاصّة سكّان المغرب العربي، الذين دعاهم إلى التصدّي إلى المستعمر الفرنسي والوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، هذا إلى جانب تأكيده على ضرورة عودة كل من الجزائر وتونس والمغرب الأقصى إلى حضيرة الدولة العليّة وسلطانها[56].

كذلك من بين الشّخصيات التي لعبت دورا هاما في الدعاية العثمانية-الألمانية يمكن أن نذكر:

محمّد الخضر حسين[57] الذي توجّه إلى ألمانيا صحبة مجموعة من الشّخصيات الوطنية كإسماعيل الصفايحي وصالح الشريف في محاولة لإقناع مجنّدي المغرب العربي الأسرى في المعتقلات الألمانية بالانضمام إلى جيش الدولة العثمانية[58].

لم يكتف الخضر حسين بما ذكر بل قام يوم 14 جويلية 1915 بإلقاء كلمة بمناسبة تدشين المسجد الذي بنته ألمانيا لتمكين الأسرى من أداء شعائرهم الدّينية، مجّد فيها الدولة الألمانية وإمبراطورها المحترمين للمسلمين ولدينهم، منتقدا في الآن نفسه فرنسا التي قامت في نفس الفترة التي بنت فيها ألمانيا لجامع

للأسرى، بتحويل جامع صالح باي بقسنطينة والجامع الكبير بعنّابة إلى ثكنة حشدت فيها – على حدّ قوله – جنودها[59].

كذلك من الشخصيات التي لعبت دورا هاما في الدعاية العثمانية- الألمانية يمكن أن نذكر عبد السّلام التيجاني التونسي الذي قام سنة 1915 بنشر كتيب دعائي تحت عنوان " **دسائس فرنسا في نظر المسلمين** " جاء ردا على ما نشرته في تلك الفترة **مجلّة العالم الإسلامي La Revue du Monde Musulman** فضح فيه سياسة فرنسا الاستعمارية في البلدان المغاربية الواقعة تحت سلطاتها[60].

كل هذه العوامل دفعت فرنسا في محاولة منها للتصدّي إلى الدعاية العثمانية-الألمانية وتوفير كل الظّروف الملائمة لنجاح دعايتها إلى فرض رقابة صارمة على الأفكار والعباد بالمنطقة المغاربية.

II- فرض رقابة صارمة على العباد والأفكار:

تعتبر الرقابة – كما سبق وأشرنا – أحد العوامل الرئيسية لنجاح الدعاية السياسية لذلك فرضت فرنسا رقابة صارمة على العباد والأفكار في بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى.

1- فرض رقابة على الأشخاص:

لقد عملت السلط الفرنسية خلال تلك الفترة على قطع الطريق أمام الدعاية العثمانية- الألمانية ووسائلها بفرضها لرقابة شديدة على كل الأشخاص ونجد في مقدّمتهم:

الرعايا الأتراك الموجودين – آنذاك – بالمنطقة المغاربية، حيث قامت الحكومة الفرنسية بتضييق الخناق عليهم من خلال فرضها لرقابة مشدّدة عليهم بتتبّع خطواتهم خطوة بخطوة مثلما حصل في الجزائر التي قامت فيها السلطات الفرنسية بفرض رقابة صارمة على العائلات ذات الجذور التركية والموجودة خاصّة في الجزائر، مستغانم وتلمسان وذلك لمنعهم من القيام بالدعاية لفتوى الجهاد المقدّس[61].

أمّا في تونس والمغرب الأقصى فقد كانت الإجراءات المتّبعة أكثر صرامة حيث قامت الدولة الفرنسية بتحديد الأطراف العثمانية والشّروط التي يجب أن تتوفّر فيهم للدخول للبلاد وهم كالآتي[62]:

- أولا المارونيين المسيحيين الكاثوليكيين اللبنانيين المطالبين بضرورة إثبات جنسيتهم بوثائق أصليّة في غضون ثلاثة أسابيع مدعّمة بشهادة ممثّل البطريرك الماروني، في هذه الحالة يمكن منحهم تصريح الإقامة.
- ثانيا يمكن منح تصاريح الإقامة إلى السوريين الكاثوليكيين مع ضرورة أن تكون أوراق ثبوتيتهم قد اطّلع عليها ممثّل ديانتهم في باريس.
- ثالثا تمنح تصاريح الإقامة إلى الأرمينيين الكاثوليكيين، الأرمينيين اليونانيين والعثمانيين اليونانيين الأرتودوكس المطالبين أيضا بإثبات جنسيتهم.

- رابعا وأخيرا يجب العودة إلى وزارة الشّؤون الخارجية لأخذ التدابير التي يجب إتّباعها مع السوريين المسلمين العثمانيين المهاجرين والمتعاطفين مع فرنسا وأخذ القرار النهائي بمنحهم تصاريح الإقامة أو رفض مطالبهم.

كما اتّخذت السلط الفرنسية إجراء أخر حاولت من خلاله منع دخول الأتراك المتخفّيين إلى المنطقة المغاربية والمتمثّل في مراقبة المناطق الحدودية مثلما حصل في تونس مثلا أين قام ممثلو فرنسا بفرض رقابة صارمة على الجنوب التونسي لمنع دخول الأتراك[63].

إنّ ما تجب الإشارة إليه في هذا الجانب هو أنّ حرص السلط الفرنسية على مراقبة المناطق الحدودية المغاربية سببه خوفها من تسرّب عناصر تركية إلى المنطقة للقيام بدعاية واسعة لفتوى الجهاد خاصّة أنّهم تلقّوا في عدّة مناسبات تقارير مؤكّدة لذلك الجانب ففي 16 ديسمبر مثلا تلقّى سفير فرنسا في مدريد قائمة وصلته من معتمد اسبانيا في تركيا ضمّت الأطراف التي وقع اختيارها للتوجّه لدول المغرب العربي للقيام بالدعاية للفتوى المذكورة وهم:

بالنسبة إلى مصر، تونس والجزائر: شريف عادل باشا، شريف علي مظهر وعبد الرحمان باشا، أمّا بالنسبة للمغرب الأقصى فقد وقع الاختيار على بدبو باشا[64].

كما تلقّى المقيم العام الفرنسي بتونس رسالة من ممثّل دولته في ليبيا ضمّت قائمة تكوّنت من 9 أفراد تحوّلوا إلى تونس للقيام بالدعاية للدولة العثمانية [65]. تبعا لكل ما ذكر أعطيت الأوامر بفرض رقابة صارمة على كل مناطق البلاد وهو ما يمكن تبيّنه بوضوح من خلال الرسائل التي كانت تصل المقيم العام بتونس من قبل المراقبين المدنيين على غرار المراقب المدني بجهة مكثر الذي أعلمه في أحد رسائله بعدم العثور على أي تركي في منطقته [66] أو كذلك مراقب توزر الذي أشار في رسالته إلى وجود أحد الرعايا الأتراك بمنطقته، بحوزته تصريح إقامة، مشيرا إلى أنّ ذلك الشّخص قد قام بزيارة لمنطقة سيدي بوعلي بنفطة ليغادر توزر بعد ثلاثة أو أربعة أيّام وأنّه طوال إقامته في الجهة لم يلاحظ عليه قيامه بأمر مستراب[67].

إنّ ما تجب الإشارة إليه هو أنّ ذلك الإجراء لم يكن مقتصرا فقط على الأتراك وإنّما شمل أيضا حلفائهم الألمان السّاعون إلى القيام بدعاية واسعة لفتوى الجهاد في دول المغرب العربي محاولين دفع سكّان المنطقة إلى الثورة ضدّ المستعمر الفرنسي لذلك قامت السّلطات الفرنسية باتّخاذ عدّة إجراءات تمثّلت في سجنهم أو طردهم من شمال إفريقيا أو فرض رقابة صارمة عليهم [68]. في هذا الإطار أصدر ممثّلو الدولة الفرنسية بالمغرب الأقصى بتاريخ 5 أوت 1914 قرارا يقضي بغلق القنصليّة الألمانية، ليتمّ في مرحلة موالية ترحيل موظّفيها إلى إيطاليا، هذا إلى جانب طرد 300 ألماني من البلاد [69] ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى تعرّض الألمان إلى قمع شديد من قبل الفرنسيين في البلد المذكور حيث أوقف العديد منهم بدعوى"الخيانة وتعاطيهم لأعمال الجوسسة مع سفير ألمانيا في مدريد"[70].

أمّا في تونس فإنّ وضعية الجالية الألمانية لم تكن مختلفة عن نظيرتها بالمغرب الأقصى حيث تعرّضت لاعتقالات واسعة خاصّة بعد قنبلة الطرّادتين قوبن Goben وبرزلاو Breslau لمينائي عنّابة وفليبفيل يوم 4 أوت 1914، حيث قدّر عدد الألمان الموقوفين في السّجن قرابة 120 شخصا[71].

إنّ حرص الفرنسيين على تشديد الرقابة على الألمان الموجودين في المنطقة سببه قيام الدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا بإرسال عدد من الضبّاط والمستشريقين الألمان وعملاء المخابرات الألمانية إلى كل البقاع الإسلامية للدعوة إلى الجهاد والوقوف في وجه الحلفاء[72].

في الواقع لم تكن الرقابة الصارمة مفروضة على الأتراك والألمان فقط وإنّما عانى الأهالي كذلك من التضييقات المفروضة عليهم – آنذاك- من قبل السّلطات الفرنسية التي لم تتردّد في تتبّع الأطراف الذين حامت حولهم شكوك بقيامهم بالدعاية للدولة العثمانية وحليفتها ألمانيا أو حتى المتعاطفين معهما، في هذا الإطار تلقّى المسؤولين الفرنسيين في تونس تقريرا مفصّلا جاء فيه: أنّ مجموعة من الأشخاص كانوا يلتقون ما بين السّاعة الخامسة والسابعة ليلا في مكتب الوكيل محمّد القلّال لقراءة جريدة **العرب** التركية وبعض الصحف الايطالية المعادية لفرنسا وحلفائها، وقد ضمّت القائمة الأطراف الآتي ذكرهم[73]:

1- محمّد النّجار، 18 سنة، طالب بجامع الزيتونة
2- محمّد الرّصاع، 20 سنة، حرفي في صناعة الشاشية
3- صادق أونيّس، ابن شقيق الوكيل المذكور
4- أحمد قربصلي 30 سنة، عدول بباب بناة عدد 48
5- مختار سعادة 25 سنة موظّف سابق في إدارة الماليّة.

كما جاء في التقرير المذكور أنّ المسمى مختار سعادة كان يقوم بتحليل المقالات الصادرة في الجرائد وبإلقاء خطابات يساند فيها ألمانيا وحليفتها تركيا وأنّ عدد من الطلبة الزيتونيين كانوا في أوقات الراحة يجتمعون في أماكن بعيدة عن أنظار أساتذتهم للتعبير عن سخطهم وحقدهم على الدولة الفرنسية[74].

إنّ إقدام السلطات الفرنسية على فرض رقابة صارمة على سكّان المغرب العربي مردّه خوفهم من وجود عناصر أهلية متعاطفة مع الدولة العثمانية وتقوم بدعاية للحلف التركي-الألماني وتحاول في نفس الوقت تأليب الرأي العام المحلّي على فرنسا ودفعهم للثورة عليها بكل الوسائل الممكنة بما فيها خاصّة شيطنة ولعن كل من يساند تلك الدولة في الحرب وهو ما عبّر عنه وزير الحرب في رسالة وجّهها إلى المقيم العام الفرنسي بالرّباط والتي جاء فيها قوله أنّه تلقّى معلومات من برلين مفادها أنّ هناك إعلان تركي (نعتقد أنّه يقصد فتوى الجهاد) سيقع نشره في كل أنحاء العالم الإسلامي يلعن كل الأطراف التي تقاتل مع فرنسا، روسيا وأنكلترا، المعادين للإسلام، مضيفا بأنّ ذلك الإعلان سيكون له تأثير كبير على الجزائريين وخاصّة التونسيين[75].

عامل آخر مهم أجبر فرنسا على تشديد رقابتها على أهالي المغرب العربي هو وقوفها على العديد من المؤشّرات الدّالة على تعاطف سكّان المنطقة مع الحلف التركي –الألماني ففي ما تعلّق بالألمان فقد عثر مثلا لدى أحمد توفيق المدني، الطالب الزيتوني- على إثر تفتيش منزله على رسمين أحدهما لغليوم الثاني والأخر للإمبراطور وزوجته من بين أوراقه الشّخصية[76] أمّا في الجزائر فقد تسبّب صياح أحد الجزائريين تحيى ألمانيا وتسقط فرنسا بمعاقبته بشهر سجن وبخطيّة مالية قدرها مائتي فرنك[77].

أمّا مظاهر ولاء سكّان المغرب العربي للسّلطان العثماني ولدولته فقد كانت عديدة، فقد عثر مثلا لدى بعض التّجار التونسيين على رسوم بالألوان للسلطان العثماني ووليّ عهده [78]. كما كانت جدران دكّان

الحلاقة لصاحبها ساسي بن الحاج رجب الجربي – الكائنة في 3 نهج ليون روش بالحاضرة- مزيّنة بعدّة رسوم لشخصيات تركية[79].

أمّا في الجزائر فقد قامت السلط الفرنسية في جانفي 1915 بمداهمة شقّة كان يعتقد أنّها معدّة لتدخين " الكيف" ليتّضح لهم حينها أنّها تستعمل كمحلّ لاجتماعات الموالين لتركيا، حيث علّقت على جدرانها رسوم لكل من أنور باشا ومحمود شوكت باشا[80]. نفس الأمر تقريبا سجّل في المغرب الأقصى أين كانت الصور التركية تزيّن البيوت وأماكن اجتماعات العائلات على غرار ما كان يحصل في الجزائر وتونس[81].

لم تكتف الحكومة الفرنسية بفرض رقابتها الصارمة على الأتراك والألمان أو كذلك على الأهالي وإنّما حرصت كذلك على إتّباع نفس السياسة مع مجنّدي المغرب العربي في الجيش الفرنسي والذين وقعوا خلال الحرب في يد الألمان ووقع أسرهم.

إنّ إقدام السلطات الفرنسية على ذلك الإجراء سببه قيام الدولة الألمانية بدعاية واسعة في معتقلاتها هدفها إقناع الجنود الأسرى المسلمين المنتمين للجيش الفرنسي بالانضمام إلى الدولة العثمانية والتي لعبت فيها – كما سبق وأشرنا – عدّة شخصيات مغاربية مؤثّرة دورا بارزا وحقّقت نسبة هامّة من النّجاح وهو ما اعترفت به السلط الفرنسية نفسها التي جاء في أحد تقاريرها أنّ الدعاية الألمانية الموجّهة إلى الأسرى المغاربة في معتقلاتها قد نجحت في إقناع 1000 جندي أسير تونسي بالانضمام إلى الجيش العثماني[82].

تبعا لما ذكر تتالت الأصوات المنادية بضرورة تطبيق رقابة صارمة على المجنّدين المغاربة العائدين من المعتقلات الألمانية إلى دولهم، في هذا الإطار وجّه وزير الحرب الفرنسي رسالة إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 28 أكتوبر 1914 يعلمه فيها بأنّ جريدة « **Le Jeune Turc** » نشرت مقالا جاء فيه أنّ ألمانيا قرّرت إطلاق صراح الأسرى التونسيين والجزائريين وتحويلهم إلى القسطنطينية، غير أنّ السفير الفرنسي في الدولة العليّة أعلمه بعدم وصول أي أسير منهم إلى البلد المذكور، مضيفا بأنّ المجنّدين العائدين إلى دول المغرب العربي يمكن أن يكون لهم دور دعائي هام من خلال حديثهم عن حسن معاملة الألمان لهم وبنشر الأخبار الخادمة لمصالح الدولة الألمانية وعليه فإنّه من الضّروري – وفق قوله – التعاون مع القائد الأعلى لقوّات البرّ والبحر في شمال إفريقيا لمراقبتهم منذ وصولهم والقيام بعزلهم عن الأهالي إلى أن يتمّ تسليمهم إلى الجهات العسكرية المختصّة، داعيا في الأخير إلى دراسة الشّروط التي يجب توفّرها لتوجيههم إلى فرنسا التي لن يغادرها إلاّ بنهاية الحرب[83].

كما وجّه المقيم العام الفرنسي بتونس رسالة إلى المراقبين المدنيين بالبلاد يدعوهم فيها إلى ضرورة تشديد الرقابة على كل المجنّدين العائدين من المحتشدات الألمانية لإمكانية قيامهم بدور دعائي للحلف العثماني-الألماني، خاصّة وأنّهم كانوا - حسب قوله- عرضة لدعاية عنيفة[84].

لقد عملت السّلط الفرنسية كذلك على فرض رقابتها على مجنّدي المغرب العربي الموجودين في فرنسا خاصّة الجرحى منهم، إذ وخلافا لما ادّعته الدعاية الفرنسية من حسن عناية الأطبّاء الفرنسيين بهم وتوفير كل الظّروف الملائمة لإقامتهم في مستشفيات الدولة المذكورة، فإنّهم في الواقع كانوا موضوعين تحت حراسة مشدّدة وهو أمر ألحّ عليه بشدّة المسؤولون الفرنسيّون الذين دعوا إلى تخصيص أعوان من الشّرطة

السرّية لحراستهم خاصّة يومي الخميس والأحد وذلك خوفا من هروبهم [85] وهو ما تمّ فعلا حيث إتّخذت السلطات الفرنسية مجموعة من الإجراءات بهدف تشديد الحراسة على المجنّدين المسلمين المعالجين في المستشفيات الفرنسية وقد تمثّلت في[86] :

- قيام ضابط صف وعريف وأربعة جنود بحراسة حديقة المستشفى، التي يتواجد فيها الجرحى المسلمون، وأحوازها لمدّة أربعة وعشرين ساعة.
- تخصيص أعوان حراسة من الشّرطة السّرية يتقنون العربية إذا أمكن.
- الدعوة إلى توجيه المصابين المسلمين القادرين على السفر إلى آكس (Aix) و آرل (Arles).

إذا يمكن القول في خاتمة هذا العنصر أنّ حرص الدولة الفرنسية على التصدّي للدعاية العثمانية-الألمانية الموجّهة إلى سكّان المغرب العربي دفعها إلى فرض رقابة صارمة على كل الشّخصيات الذين تحوم حولهم شبهة القيام بدور دعائي (خاصّة لفتوى الجهاد) أو يعتقد أنّهم متعاطفين مع الدولة العليّة.

2- فرض رقابة صارمة على الصّحف والمراسلات:

إنّ حرص الدولة الفرنسية على التصدّي للدعاية العثمانية- الألمانية ومنعها من الوصول إلى دول شمال إفريقيا جعلها لا تكتف بما ذكر بل قامت أيضا وفي نفس الوقت بضرب رقابة صارمة على الصحّف ومراسلات مجنّدي وعمّال المغرب العربي الموجودين في فرنسا. فبالنسبة إلى الصحف عملت السلطات الفرنسية في بلدان المغرب العربي على فرض حصار رهيب عليها، ففي تونس كانت الرقابة العسكرية La Censure Militaire) – آنذاك- تتدخّل في كل ما ينشر، فقد وقع منع نشر كل المعلومات المتعلّقة بعمليات التجنيد، تنقّل المجنّدين، عدد الجنود الذين عادوا إلى عائلاتهم، قائمة المجروحين والموتى من المجنّدين في الجيش الفرنسي، أي كل الأخبار المتعلّقة بالحرب إلاّ تلك التي يقع مدّهم بها من قبل الحكومة أو القيادة [87] ليصدر بعد ذلك أمر يحجّر نشر كل الأخبار المتعلّقة بالحرب طول مدّتها وكل مخالف لذلك يعرّض نفسه للعقاب فحسب ما جاء في فصله الثاني "...يعاقب كل من يرتكب مخالفة لهذه الأحكام بالسّجن مدّة تتراوح بين عام إلى خمسة أعوام وبخطيّة أقلّها ألف فرنك وأقصاها خمسة ألاف فرنك..."[88].

إنّ حرص فرنسا على ضرب حصار رهيب على الصّحف مردّه خوفها من قيام الأخيرة بتسريب أخبار الحرب إلى أهلي المنطقة المغاربية وكشف حقيقتها وهولها حيث تسبّبت في سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى بما فيهم طبعا المجنّدين المسلمين، الأمر الذي قد يزيد في صعوبة عمليّة التجنيد بشمال إفريقيا لذلك قامت بنشر الأخبار الخادمة لمصالحها فقط والمبرزة دائما لصورة فرنسا القويّة التي لا تهزم.

إنّ ما تجب الإشارة إليه في هذا الجانب هو أنّ ذلك الحصار الإعلامي الرّهيب ولّد احتجاجات كبيرة في صفوف النّخبة التونسية خاصّة بعد قيام الحكومة الفرنسية بمنع عدّة صحف عربية من الصّدور، نجد في مقدّمتهم عبد العزيز الثعالبي الذي طالب المشرفين على الصّحف التونسية بتوجيه رسالة إلى مجلس النوّاب بباريس يعبّرون فيها عن معارضتهم لتلك الإجراءات[89].

لقد قامت السلطات الفرنسية في نفس الوقت الذي حاصرت فيه الصّحف التونسية بمنع الجرائد والمطبوعات الأجنبية من دخول البلاد التونسية [90] خاصّة منها المعادية لفرنسا، كصحيفة " **الأخبار الرّسمية للحرب** " (**Noticias officieles de la guerre**) التي كانت تصدر في مدريد والتي وكما جاء في أحد التقارير أنّ أحد أعدادها كان موجّه لتونسي وهو صاحب محل لبيع الزرابي بالعاصمة يسمى جمال وأنّ مهمّة الجريدة المذكورة بث أخبار متعلّقة بالحرب في منطقة المغرب العربي خادمة لمصلحة الألمان، حيث جاء في ذلك العدد أنّ فرنسا وحلفائها الأنكليز والروس قد تلقّوا هزائم قاسية في حربهم مع ألمانيا وأنّ " ...الفرنسيين أخطئوا بوقوفهم في الحرب ضدّ القوّة الألمانية الواضح انتصارها للعيان..." [91] أو كذلك جريدة **La Gazette des Ardennes** الألمانية التي جاء في أحد التقارير أنّ عددين منها وجّها إلى منطقة الحوض المنجمي بقفصة وأنّ مهمّتها نشر أخبار مغرضة ومحرّضة للأهالي ضدّ فرنسا المستعمرة لأراضيهم[92].

أمّا فيما تعلّق بالجزائر فإنّ حرص السلطات الفرنسية على ضرب حصار إعلامي رهيب فيها دفع حاكمها العام –ابتداء من 17 أوت 1914- إلى إصدار تعليمات تقضي بمنع المنشورات الأجنبية بما فيها العربية من دخول البلاد، لأجل ذلك كلّفت مصالح البريد والجمارك بحجزها وتوجيهها إلى مصالح الترجمة والتفسير (Les services de traduction et d'interprétation) [93]. ومن أهم الصحف التي شملها ذلك الإجراء يمكن أن نذكر جريدة " **الشّباب التركي** " النّاطقة بالفرنسية والتي كانت تصدر في القسطنطينية ليتمّ فيما بعد إرسالها إلى عدّة دول عربية بما فيها الجزائر، وقد قال عنها الحاكم العام المذكور أنّها تقوم بنشر أخبار معادية لفرنسا وهي ورقة خطيرة جدا لذلك يجب منعها من الوصول إلى الجزائريين[94].

وكما كان الشأن بالنّسبة لتونس فقد برّرت الحكومة الفرنسية في الجزائر ذلك الإجراء بحرصها على الحفاظ على الأمن العام ولكن الواقع مخالف تماما لذلك باعتبار أنّ هدفها المقصود هو منع وصول أخبار الحرب إلى الأهالي إلاّ بالصيغة التي تريدها دولة الاستعمار والتي تظهر فرنسا دائما في صورة الدولة المنتصرة[95] وقد أوكلت تلك المهمّة لجريدة **المبشّر**[96] الدعائية.

أمّا في المغرب الأقصى فقد فرض المقيم العام هناك أيضا حصار رهيب على الصّحف وذلك بعد أن كلّف السلطات العسكرية بمراقبتها والتي قامت بتشديد الخناق عليها بدعوى التخوّف من نشرها لأخبار زائفة من شأنها أن تثير الذّعر بين السكّان[97].

إنّ ما تجب الإشارة إليه في خاتمة هذا العنصر هو أنّ الدولة الفرنسية في منطقة المغرب العربي لم تكتف بفرض رقابة صارمة على الصحف والمنشورات الأجنبية (خاصّة منها العربية) فقط بل وقامت أيضا بتعطيل كل الصحف المحليّة المعادية لها ففي تونس مثلا كانت جريدة **الزهرة** الوحيدة التي لم يشملها قرار التعطيل وذلك بعد الصّفقة التي أبرمت بين جهاز الرّقابة الفرنسية ومديرها عبد الرّحمان الصنادلي والتي نصّت على مواصلة صدور الصحيفة المذكورة شريطة قيامها بنشر كل الأخبار الملمّعة لصورة فرنسا وحلفائها مقابل إيراد تلك المناهضة للإمبراطوريات الوسطى[98]. نفس الإجراء شمل أيضا صحيفتي **الترقّي والسّعادة**[99] في المغرب الأقصى وجريدة **المبشّر** في الجزائر.

أما فيما تعلّق بالمراسلات فإنّ حرص المشرفين على الدعاية الفرنسية في بلدان المغرب العربي على نجاح دعايتهم والتصدّي لكل ما من شأنه أن يشوّه الدولة الفرنسية أو يتعارض مع مصالحها دفعهم أيضا إلى تشديد الحصار على الرسائل سواء تلك المتعلّقة بمجنّدي المنطقة أو بالعملة المسلمين الموجودين في فرنسا.

لقد أكّد المسؤولون الفرنسيون في أكثر من مناسبة على ضرورة أن يقوم المشرفون على مصالح البريد بفرض رقابة صارمة على كل المراسلات باعتبار أنّ ذلك يمكّنهم من الحصول على معطيات هامّة متعلّقة خاصّة بالعقليّة، الوضعية العسكرية، السياسية والاقتصادية والدبلوماسية في الخارج [100] أي التعرّف على مواطن القوّة والضعف لدى العدو.

تبعا لما ذكر تمّ إخضاع كل المراسلات الواردة على منطقة المغرب العربي إلى رقابة صارمة ونجد في مقدمتها مراسلات المجنّدين والعملة المغاربة – كما سبق وأشرنا- ففي الجانب الأوّل قامت السلطات الفرنسية بحجز كل الرسائل المعادية للدولة الفرنسية أو المتضمّنة لمعطيات متعارضة مع مصلحة الدولة المذكورة كرسالة الجندي التونسي أحمد بن محمّد بن محرز التي وجّهها إلى المسمّى حميدة عطاء الله القاطن بجهة السبيخة والتي اشتكى فيها من سوء الأحوال الجويّة في فرنسا التي يسيطر عليها البرد المتقع، مضيفا أنّ " ذلك البلد لا يعجبه ... وأنّهم مازالوا على قيد الحياة بفضل الله"[101].

كما يمكن أن نذكر أيضا رسالة حمد بن الحاج القادمة من جهة باتنة الجزائرية، والموجّهة إلى المسمّى محمّد بن إبراهيم بن الحاج بن عبد القادر والتي كان مصيرها الحجز كغيرها من المراسلات بسبب تشكي صاحبها من الوضعية الصعبة التي يعيشها في صفوف الجيش الفرنسي حيث جاء فيها قوله: "...أمّاه كم هي مؤلمة تلك السّنة التي قام فيها الفرنسيون ببيعنا لألمانيا ؟ لقد قاموا بأخذنا جميعا كبار و صغار لم يترك في البيوت إلاّ النّساء؟... للأسف أين هو شبابي...حياتي قد مرّت... قيل لي أنّ العالم انتهى..."[102].

كما نذكر أيضا رسالة وجّهها جزائري إلى أحد إخوته أكّد له فيها على ضرورة إيجاد بديل لأخيه الذي تمّ تجنيده حديثا، مضيفا أنّ ظّروف الجنود في الجيش الفرنسي قاسية ومتعبة جدا هذا إلى جانب نقص المواد الغذائية[103].

لقد كان مصير جميع تلك الرسائل الحجز وبالتالي عدم وصولها إلى أصحابها، وهو إجراء مردّه خوف السلطات الفرنسية في بلدان المغرب العربي من إطّلاع الأهالي على الظّروف الصعبة والكارثية التي يتواجد فيها أبنائهم في صفوف الجيش الفرنسي ومن وصول أخبار الحرب وهولها إليهم، الأمر الذي قد يكون له في النهاية انعكاس سلبي على عملية التجنيد ويزيد في صعوبة إقناع شبّان المنطقة بالانضمام إلى الجيش الفرنسي. كل ذلك دفع بجهاز الرقابة الفرنسية إلى حجز ليس فقط الرسائل التي تحدّث فيها أصحابها عن ظروفهم الصّعبة في الثكنات الفرنسية وإنّما أيضا تلك الناقلة لأخبار الحرب، خاصّة منها المبرزة لتعرّض جيش الدولة الفرنسية لهزائم في بعض المعارك، في هذا الإطار تمّ مثلا حجز رسالة الجندي المسمى العربي التي وجّهها إلى محمّد بن سعيد القاطن بتونس والتي تحدّث فيها عن صعوبة الحرب التي يخوضونها حيث كانت مدفعية العدو – وفق قوله – تقوم برميهم لأكثر من ساعة ونصف، والطلقات النارية كانت متواصلة طيلة الليل والنّهار، الأمر الذي أجبرهم على التراجع مدّة أربعة أيّام [104]. كما تمّ حجز رسالة المسمى أحمد بن حسن والتي أشار فيها إلى تكبّد

الجيش الفرنسي لهزائم قاسية في المغرب الأقصى في مواجهة الثّوار خاصة في جهة تازة والتي من جملة ما جاء فيها قوله: " ...لقد وقع في صفوفنا الكثير من الموتى الذين قتلوا رميا بالرصاص أو بسبب العطش..." [105] نتيجة محاصرتهم من قبل الثّوار المسلّحين.

إنّ تخوّف السلطات الفرنسية في بلدان المغرب العربي من وصول أخبار الحرب إلى المنطقة واكتشاف الأهالي لأحداثها الحقيقية والمغايرة تماما لما روّجته الدعاية الفرنسية التي صوّرت دائما الجيش الفرنسي في صورة المنتصر الذي لا يهزم جعلهم يعمدون أيضا إلى جانب مراقبة الرسائل القادمة من فرنسا ومن جبهات القتال إلى إخضاع المراسلات القادمة من الدول العدوّة خاصّة تركيا وألمانيا إلى نفس الإجراء يمكن أن نستشهد مثلا برسالة المسمّى الطّيب بن علي الموجود في معتقل زوسن بألمانيا والتي أشاد فيها بحسن معاملة الدولة الألمانية للأسرى المسلمين حيث بنت لهم مسجد للقيام بواجباتهم الدّينية على أحسن وجه ممكن، هذا إلى جانب حسن عنايتها بالأسرى الجرحى الذين تمّت – وفق قوله – مداواتهم في مستشفياتها المختلفة[106] أو برسالة الجندي الجريح عامر بن حمدان التي أشاد فيها بحسن عناية الألمان بهم الذين – حسب قوله – "...يعتنون به كاعتنائهم بأبنائهم..."[107].

لقد كان مصير مثل تلك الرسائل الحجز من قبل مصالح الرقابة الفرنسية التي كانت ترى فيها مجمّلة للدولة الألمانية لأجل ذلك قامت بحجز كل المراسلات القادمة من الدولة المذكورة خاصّة من معتقل زوسن التي خضع فيها المسلمون بصفة عامّة ومجنّدي المغرب العربي بصفة خاصّة إلى دعاية واسعة هدفها دفعهم إلى مساندة الحلف التركي- الألماني وهو أمر حقّقت فيه دعاية الدولتين نسبة من النّجاح وهو ما يمكن تبيّنه مثلا من خلال هذه الرّسالة التي تمّ طبعا حجزها والتي أعلم فيها الوكيل عبد الرّزاق بن علي الموجود في المعتقل الألماني عائلته أنّ زميله المسمّى بشير قد انتقل إلى تركيا وأنّه سيلتحق به في القريب العاجل[108].

إنّ إفراط السّلطات الفرنسية في حجز الرسائل التي قد تبدو من وجهة نظرهم معادية لفرنسا وخادمة للدعاية التركية- الألمانية قد تسبّب في احتجاج المجنّدون المغاربة بما فيهم خاصّة التونسيون الذين اشتكوا من عدم وصول مراسلات من أهاليهم فقد كانوا يكتبون ما بين أربعة أو خمسة رسائل شهريا لكن في المقابل تصلهم رسالة واحدة في أقصى الحالات[109].

لقد دفع كل ذلك مجنّدي المغرب العربي وأهاليهم إلى الاعتماد على رسائل مشفّرة، مموّهة حيث عادة ما يقع رسم نجمة يحيط بها هلال على الرسائل المذكورة، إشارة إلى النجمة التي ترسم على النّقود البرونزية التركية، كما كان بعضها الآخر يحمل علامة قاطع ومقطوع (X) التي كان يستعملها مجنّدي المغرب العربي للإشارة إلى أنّ الجنود الفرنسيين هزموا[110]. إلى جانب الرّموز المذكورة كان بعض المجنّدين يعمدون في رسائلهم إلى كتابة عبارات مموّهة وغير مفهومة في بعض الأحيان حتى لا يفهم الفرنسيون معناها فيكون مصيرها الحجز:

من ذلك مثلا أنّ الجندي عبد القادر بن سالم من الفيلق الرابع أرسل رسالة إلى المسمّى الطّيب القبيلي بصفاقس، طالبا منه مدّه بمعلومات عن الحيتان التي كانت تسبح في مياه البلاد التّونسية وعن الطّيور التي كانت تحوم في سمائها وتمطرها بأعداد كبيرة من البيض، إنّ ما قصده الجندي المذكور بالحيتان

– حسب لجنة المراقبة الفرنسية – هو الغوّاصات الألمانية التي كانت تقصف المدن السّاحلية التونسية، أمّا ما كان يقصده بالطيور فهي الطائرات المقاتلة التي كانت تمطر المدن بعدد كبير من القذائف التي تمّ تشبيهها بالبيض[111].

كما كان لفظ " الحاج " حاضر بقوة في رسائل مجنّدو المغرب العربي والمقصود به هم الألمان، من ذلك أنّ أحد الجنود يدعى محمّد بن حسين اللّبان وجّه رسالة إلى أحد أقاربه وصف له فيها أحد معاركهم مع الألمان قائلا: "...أنّ الحاج (أي الألمان) تقدّم نحوهم في منتصف الليل فتراجعوا قرابة ألف متر واستعدّوا لمواجهة الحاج...لكنّهم لم يستطيعوا مواجهته ولم يتمكّن من استرجاع مواقعهم... وأنّه تمكّن من معرفة الحاج في تلك اللّيلة: إنّه حاج قوي جدا...ورغم أنّ الفرنسيين ضاعفوا من عدد الجنود ومن اللّحم (أي الرصيد البشري من الجنود)... ولكن ببطنه الكبير أكل كل تلك اللّحوم..."[112].

إنّ ما تجب الإشارة إليه في خاتمة حديثنا عن مراسلات مجنّدي المغرب العربي أنّه في الوقت الذي كانت فيه مصالح الرقابة الفرنسية تحجز كل الرسائل المعادية لفرنسا والموالية للحلف التركي-الألماني، كانت السلطات الفرنسية تصرّ على تمرير المراسلات الخادمة لمصالحها الدعائية بل وتقوم بنشرها في صحفها الدعائية وهو ما نتبيّنه بكل وضوح في رسالة المقيم العام الفرنسي بتونس التي وجّهها إلى وزير خارجية بلاده والتي أشار فيها إلى أنّ عدد منها (أي الرسائل) تمّ نشره في جريدة الزهرة[113].

وتبعا لما ذكر تمّ تمرير عدّة رسائل خادمة لدعاية فرنسا كرسالة الطّاهر بن الحاج عمر التي بالغ فيها في الحديث عن تلقّي ألمانيا لهزائم قاسية في الحجاز أمام جيش شريف مكّة

وأنّ فرنسا – وفق قوله - قد أرسلت الدعم العسكري اللازم للجيش الإسلامي [114]. أو كذلك رسالة الجندي بن غسّان بن الحاج التي جاء فيها قوله: " نحن نطلب من الله أن تكون فرنسا منتصرة...الألمان ليس لديهم لا مال ولا جنود ولا قوّة، الحرب ستنتهي قريبا..."[115].

أمّا مراسلات العملة فقد واجهت بدورها نفس المصير خاصّة تلك التي يتحدّث فيها أصحابها عن معطيات رأتها مصالح الرقابة الفرنسية في منطقة المغرب العربي معادية لفرنسا أو متعارضة مع مصالحها وأهدافها.

إنّ ما يجب التذكير به في هذا الجانب هو أنّ حاجة فرنسا الملحّة لليد العاملة في الميدان الفلاحي والصناعي مع بداية الحرب الكبرى دفعها إلى جلب أعداد كبيرة من سكّان المغرب العربي لتغطية ذلك النّقص الذي أدى إلى إفلاس عدد كبير من المصانع وتراجع كبير في الإنتاج الفلاحي، وهو ما طالب به المسؤولون الفرنسيون في مناسبات عديدة منادين بانتداب عملة من المستعمرات الفرنسية بشمال إفريقيا[116].

لقد كانت الانتدابات في بعض الأحيان تتمّ بالقوّة، خاصّة في الجزائر التي بالغت فيها فرنسا في استنزاف ثروتها البشرية فمن لم يقع تجنيده يتمّ نقله للعمل في مصانع ومزارع تلك الدولة وهو ما ولّد عدّة ثورات في البلد المغاربي أدّت إلى موت عدد من الفرنسيين، حيث قتل في أحدها أربعة أشخاص (3 رجال وامرأة)[117].

لقد كان الفقر والبطالة التي كان – آنذاك – يعيشها أغلب سكّان المنطقة المغاربية إحدى أهمّ العوامل التي أدّت إلى تحوّلهم إلى الأراضي الفرنسية، فمنطقة القبايل مثلا وإن كان عدد شبابها المرتفع يمثّل مصدر ثرائها فإنّ أرضها الشّاسعة كانت فقيرة جدا وعاجزة عن توفير غذاء سكّانها[118].

إذا أمام هذا الوضع الكارثي تحوّل عدد هام من أهالي المغرب العربي للعمل في فرنسا ممنّين النّفس بالحصول على عمل لائق وأجر جيّد يعيلون به عائلاتهم ويحسّنون أوضاعهم الاجتماعية ولكن بوصولهم إلى ذلك البلد ومباشرتهم للعمل اصطدموا بالواقع المرير الذي كان من أهمّ النّقاط التي تناولوها في رسائلهم مركّزين على النّقاط التالية:

- سوء التغذية: تكاد تكون هذه النّقطة حاضرة في أغلب الرّسائل وهو ما عبّر عنه مثلا المسمّى محمّد بالي في رسالة وجّهها إلى أحد أقاربه قال فيها أنّ الطعام المقدّم لهم قد يكون خليط من الفاصوليا والأرز والسمك مضيفا أنّه: "سيء وغير نظيف" [119] أو كذلك المدعو علي بوصايم الذي جاء في رسالته قوله: " أدعو لنا الله أن يخلّصنا إنّ فرنسا بلد سيء، لا نأكل إلا أطعمة محرّمة..."[120].

- كثرة ساعات العمل والظروف القاسية التي يعملون فيها: وهي من النّقاط الهامّة التي ركّز عليها العملة المغاربة، وهو ما أشار إليه مثلا محمّد الحسين بن عريف في رسالته التي وجّهها إلى حسن بن محمّد الحارس في منجم الرديّف بقوله: "...أنّ العمّال يباشرون عملهم منذ السّاعة الخامسة صباحا وينتهون في حدود السّابعة مساء...،إنّ الطقس بارد جدا، لقد تهت في هذا البلد..." [121]. وفي رسالة أخرى موجّهة لحسن بن العربي قال فيها صاحبها "علمت أنّك ترغب في القدوم للعمل في فرنسا، إنّ العمل هنا شاق جدا...لا تأتي...إنّه بلد سيء..." [122].

- القسوة والعنصرية: والتي عانى منها كثيرا مسلمي شمال إفريقيا في مصانع ومزارع فرنسا، لذلك كانت هذه النّقطة حاضرة بقوّة في رسائلهم وهو ما عبّر عنه مثلا أحمد الحاج علي العامل في الميدان الفلاحي في أحد رسائله التي أشار فيها إلى المعاملة القاسية التي يعاملهم بها مؤجّرهم الذي وصفه بالكلب لأنّه – وكما جاء في قوله – لا يدعهم ينامون ولا يتردّد في شتمهم وإهانتهم، الأمر الذي جعله يقول في خاتمة حديثه أنّ حياتهم أشبه بحياة الكلاب[123].

لقد وصلت قسوة المؤجّرين الفرنسيين مع عمّال المغرب العربي إلى درجة منع تقديم الطعام في الحالات التي يجبرون فيها على الرّكون إلى الرّاحة الإجبارية بسبب سوء الأحوال الجوّية وهو ما يمكن تبيّنه مثلا في رسالة المدعو عبد السّلام الرجيش الموجّهة إلى محمّد الرجيش والتي أشار فيها إلى أنّه لم يعمل منذ 20 يوم بسبب تواصل سقوط الثّلوج وأنّه مجبر على الإنفاق على نفسه لأنّ مؤجّريهم لا يطعمونهم إلاّ عند العمل [124]. لقد كان مصير جميع تلك الرسائل الحجز على غرار مراسلات المجنّدين ولم تمرّر السط الفرنسية إلا تلك الخادمة لمصالحها .

الخاتمة:

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى حاولت الدولة الفرنسية دفع سكّان المغرب العربي إلى مساندتها في تلك الحرب وذلك بالانضمام إلى جيشها، غير أنّها واجهت – آنذاك – عدّة صعوبات وعوائق شكّلت حاجزا أمام تحقيق ذلك الهدف فإلى جانب نقمة سكّان المنطقة على تلك الدولة المستعمرة لهم ورغبتهم الجامحة في مقاومتها، اعترضت فرنسا كذلك الدعاية التركية- الألمانية التي تميّزت بشراستها والتي كانت تهدف إلى دفع المسلمين أين ما كانوا بما فيهم خاصة أهالي المنطقة المغاربية إلى مقاومة مستعمريهم المسيحيين والانضمام إلى الجيش العثماني المسلم، وهو ما أجبر دولة الاحتلال على القيام بدعاية مضادة حاولت من خلالها الردّ على دعاية الحلف التركي – الألماني وكسب ودّ سكّان شمال إفريقيا وبإعتبار أنّ الرقابة – كما سبق وأشرنا – تعتبر من العوامل الرئيسية لنجاح أيّة دعاية سياسية، قامت فرنسا بفرض رقابة صارمة على المنطقة شملت الأشخاص، الصحف والمراسلات، فارضة بذلك حصارا خانقا سعت من خلاله إلى التصدّي لكل الأخبار المشوّهة لفرنسا أو المتعارضة مع مصالحها في المنطقة والتي من شأنها أن تؤثّر خاصة على عملية التجنيد وتزيد بالتالي في صعوبتها. ولكن ورغم المجهود الذي بذلته الدولة الفرنسية فإنّ نتائج ذلك الحصار كانت إن صحّ التعبير في مجملها محدودة، فما كانت تخشاه فرنسا من وصول أخبار الحرب إلى المنطقة قد تحقّق خاصّة مع رجوع عدد من المجنّدين الجرحى إلى دول شمال إفريقيا، هذا إلى جانب مراسلاتهم التي وبعد تفطّنهم إلى قيام مصالح الرقابة الفرنسية بحجز أغلبها إلتجأوا إلى الإعتماد على رسائل مشفّرة، مموّهة – كما سبق وأشرنا – والأكيد أنّ العديد منها قد وصل إلى الأهالي، هذا إلى جانب استمرار وصول عدد من الصحف الأجنبية التي نقلت صورة مغايرة عن الحرب خلافا لتلك التي كانت تروّجها السّلطات الفرنسية والتي تبرز دائما فرنسا في صورة الدولة المنتصرة. كذلك ورغم شدّة الرقابة فقد حقّقت الدعاية التركية – الألمانية بعض أهدافها بين أهالي المغرب العربي ونجحت في دفع عدد منهم إلى مساندة الدولة العثمانية في الحرب.

الهوامش:

1. Archives Nationales de Tunisie (A.N.T), E 440 A, 18/169- 1914-1915, doc n° 2, p 1.

2. التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في المغرب العربي 1876–1918، تونس، دار الجنوب للّنشر، 2005، ص 225.

3. المرجع نفسه، ص 225.

4. A.N.T, E 440 A, 18/169- 1914-1915, doc n° 2, p 1.

5. Institut Supérieur d'histoire de la Tunisie Contemporaine (I.S.H.T. C) , Guerre 1914-1918, Affaires musulmanes I, panislamisme, Guerre sainte, la Turquie dans la guerre européenne, bobine (bob), P.75, C.1650(Aout, novembre 1914)245 f, « La fetwa sur la guerre sainte », « fetwa chérifa » du Cheikh – Ul Islam- Khairi – Ben Awin, lu le 14 novembre à la grande mosquée du conquérant (Fatih Mohamed II), rédigée selon l'usage musulman sous forme de questions et de réponses, le 23/11/1914, f 178-180.

6. Brémond,Ed (le général), Le Hedjaz dans la guerre mondiale, Paris, Payot, 1931, p 23.

7. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 228.

8. سورة التّوبة، آية 41.

9. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 228.

10. المرجع نفسه، ص 228.

11. المرجع نفسه، ص 233.

12. A.N.T, E 440 A,18/169, (extrait du journal « Jeune Turc » du 26/11/1914, numéro arrêté par la censure à Tunis) « L'union du monde musulman et la guerre sainte », doc n° 5, 6p, p 1.

13. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 235.

14. المرجع نفسه ، ص 235–236.

15. المرجع نفسه، ص 236.

16. المرجع نفسه، نفس الصفحة.

17. المرجع نفسه ، ص 237.

18. سورة البقرة، الآية 153.

19. سورة الأنفال، الآية 66.

20. سورة التوبة، الآية 74.

21. سورة النّساء، الآية 73.
22. I.S.H.T.C, Guerre 1914-1918, Affaires musulmanes I, panislamisme, Guerre Sainte, La Turquie dans la guerre européenne, bob.P 75, C. 1650, (Aout – Novembre 1914), 245 f, le ministre de France aux Pays-Bas à Déclassée, ministre des affaires étrangères, le 18/11/1914, f 147.
23. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 239.
24. حول تعريفه، أنظر: خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى،أطروحة الدكتوراه، تونس، كليّة العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2016، ص 100.
25. التليلي العجيلي، صدى حركة ...، ص 244.
26. عمار هلال، " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي 1847–1918 "، مجلة الثقافة، (الجزائر)، العدد 82 (جويلية– اوت 1984)، ص 65–120، ص 87.
27. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص248.
28. المرجع نفسه، ص 248.
29. A.N.T, Série Mouvement National, C 2, Dossier 1, doc n° 5.
30. Ibid.
31. Ibid.
32. Ibid.
33. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 251.
34. خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية...، ص 103.
35. سورة التّوبة، الآية 5.
36. سورة التّوبة، الآية 12.
37. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 255.
38. سورة الأنفال، الآية 60.
39. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 255–256.
40. سورة البقرة، الآية 191.
41. خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية...، ص 106.
42. خالد محمود السعدون، الجهاد خلال الحرب العالمية الأولى، الدعوة والاستجابة، بنغازي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999، ص 306.
43. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 257.
44. حول تعريفه أنظر: خالد الفرجاني ، الدعاية الفرنسية...، ص 108، هامش 1.
45. Abdelmoula.M, De L'Umma « aux nationalismes à l'occidentale », les émigrés politiques de Tunisie en terre d'islam, en France et leur lutte anti-coloniale (1906- 1924), Thèse, Université de Genève, 1993, p 298.
46. Ibid, p 299.
47. سورة البقرة، الآية 256.
48. سورة الكافرون، الآية 6.
49. حول تعريفه أنظر: خالد الفرجاني ، الدعاية الفرنسية...، ص 109.

50. عبد الجليل التميمي، " من أعلامنا البارزين والمنسيين: الشيخ صالح الشريف"، المجلّة التاريخية المغربية، عدد 23-24 (نوفمبر 1981)، ص 345-362، ص 355.
51. عبد الجليل التميمي، " من أعلامنا البارزين 23...، المجلّة التاريخية المغربية، عدد 23-24 (نوفمبر 1981)، ص 345-362، ص 355.
52. نفس المرجع والصفحة.
53. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص266.
54. حول تعريفه أنظر: خالد الفرجاني ، الدعاية الفرنسية...، ص 111.
55. Boukaboya.H.A, Les soldats musulmans au service de la France, Lauzane, 1917, p 53.
56. A.N.T , E 440A, 18/83, « Les Turcos à la …Turquie », signé par le lieutenant Abdallah, doc n° 12.
57. حول تعريفه أنظر: محمد مواعده، محمّد الخضر حسين: حياته وآثاره 1873-1958، تونس، الدار التونسية للنّشر 1974.
58. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 268.
59. المرجع نفسه .
60. المرجع نفسه، ص 269.
61. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, Bob.P.82,C 1670, procés verbal de la séance de la commission interministérielle des affaires musulmanes du 13 janvier 1915,f 2.
62. A.N.T, E 440A,18/175,Affaires étrangères au résident général, Tunis et Rabat, Bordeaux, le 10novembre 1914 à 11h40, doc n° 4.
63. [1] I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, Bob.P.75,C 1651, Le ministre de la marine au ministre des affaires étrangères, Paris, le 23/12/1914, f 77.
64. I.S.H.T.C, Guerre 1914-1918, Affaires musulmanes II, panislamisme, guerre sainte, la Turquie…,bob.P 75, C 1651, (décémbre 1914- Mars 1915), 271f, f 13.
65. A.N.T,E 440A, 18/174, Annexe à la lettre de Tripoli de Libye au résident général n° 29 du 3-7-1916, doc n° 1.
66. Ibid .E 440A, 18/173, Le contrôleur civil de Mactar à Alapetite, ministre plénipotentiaire résident général de la république Française à Tunis, Mactar, le 19/11/1914, doc n° 23.
67. Ibid, Le contrôleur civil suppléant, chef de l'Annexe à Alapetite, ministre plénipotentiaire résident général de la république Française à Tunis,Tozeur, le 9/11/1914, doc n° 18.
68. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, bob.P75, C 1650, dossier unique, Le ministre des affaires étrangères à Defrance, ministre plénipotentiaire chargé de l'agence et consulat général de France au Caire, Paris le 20/8/1914, f 2.
69. Le Pautremat.P, La politique musulmane de la France au XXe siècle de l'Hexagone aux terres d'Islam, espoirs, réussite, échecs, Edition : Maisonneuve et Larose, Paris, 2003, p 79.
70. التليلي العجيلي ،" المصالح الألمانية ومصير الرعايا الألمان في بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى"، روافد، العدد الرابع (1998)، ص 199.
71. المرجع نفسه، ص 203.

72. حبيب وداعة الحسناوي،" المقاومة العربية المشتركة في ليبيا وتونس ضدّ الاستعمار الايطالي والفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى"، روافد، عدد 4(1998)، ص 161-162.
73. A.N.T, M.N, 16/1, Rapport de l'Adjudant Lapergue commandant les brigades de Tunis, sur des sentiments antifrançais exprimés par des étudiants de la Grande mosquée, Tunis le 17/02/1915, doc n° 35, 3 p, p 1-2.
74. Ibid.
75. I.S.H.T.C,Quai d'Orsay,guerre 1914-1918, bob.P.75, C 1650, dossier unique, Le ministre de la guerre au commissaire résident général, Rabat, f 99.
76. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 284.
77. Meynier, « Loyalisme et insécurité en Algérie pendant la guerre de 1914-1918 », Les cahiers de Tunisie, t XIX, n° 73-74 5 1er et 2 eme trim.1971) pp 183-207, p 197.
78. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 284.
79. A.N.T, série Mouvement National, C 10, doss.1, Note confidentielle datée du 11/5/1918, doc n° 23.
80. Boukaboya. op.cit, p 53.
81. Meynier.G, l'Algérie révélée, la guerre de 1914-1918 et le premier quart du XXe siècle, Genève , Librairie Drez, 1981, p 622.
82. خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية...، ص114.
83. A.N.T, E440 A, 18/38, Le ministre de la guerre au gouverneur général de l'Algérie, Bordeaux, le 28/10/1914, doc n° 7.
84. Ibid, Résident général aux contrôleurs civils et affaires indigènes, 19/1/1916, doc n° 16.
85. Service historique de l'armée de terre(S.H.A.T) (Château de Vincennes), 7N 2103 , L'officier interprète de 2eme classe Hennecart au général de division commandant la place de Paris, Paris le 12/6/1915, doc n° 317.
86. S.H.A.T, 7N 2013, Le général de division Gallient, gouverneur militaire de Paris au ministre de la guerre, Etat- Major de l'armé, section d'Afrique, Paris le 4 /6/1915, doc n° 316.
87. A.N.T, E 440 A, 18/329, Décret, vu et approuvé : le ministre plénipotentiaire résident général de la république française, doc n° 18.
88. " حوادث محليّة "، جريدة الزّهرة، عدد 3046 ليوم 1917/10/22، ص 2.
89. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, affaires politique, bob.P 23,C39, Tunis, le 11/6/1914, f 13.
90. الثعالبي، تونس الشّهيدة، ترجمة وتقديم سامي الجندي، بيروت، دار القدس، ص 42.
91. A.N.T, E 440A, 18/344, Rapport du premier au 10 octobre 1915, doc n° 2, 10p, p. 2.
92. Ibid, p. 5.
93. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 341.
94. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, bob.P 84, C 1672, Le gouverneur général de l'Algérie au ministre des affaires étrangères, Alger le 22/9/1914, f 13.
95. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 341.
96. حول تعريفها أنظر: خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية، ص 133.
97. التليلي العجيلي، صدى حركة...، ص 342.

98. خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية، ص120.

99. حول تعريفها، أنظر: المرجع نفسه، ص 130.

100. A.N.T, E 440A, 18/345, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de Juillet 1916, L'officier interprète de 1er classe chef de bureau : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant-Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : G.Lanoir, Tunis, le 30/7/1916, doc n° 11, 14p, p 1.
101. Ibid, Rapport pour la période du 1er au 10 décembre 1915, l'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal, Tunis le 10/12/1915, doc n° 9 , 6 p, p 1.
102. A.N.T, E 440A, 18/346, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de février 1917, L'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : G.Lanoir, doc n° 2, 41 p, p 17.
103. Ibid, E 440A, 18/346, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois d'avril 1917, L'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal de Tunis, Lanoir, doc n° 4, 42 p, p 8.
104. Ibid, E 440A, 18/344, Rapport du premier au 10 octobre 1915, doc n° 2, 10 p, p 1 et 2.
105. A.N.T, E 440A, 18/346, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de juillet 1916, L'officier interprète de 1er classe chef de bureau : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant-Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : G.Lanoir,Tunis, le 30/7/1916, doc n° 11, 14 p, p 3.
106. Ibid, E 440A, 18/344, Rapport pour la décade du 20 au 30 novembre 1915, l'officier interprète de 1er classe : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant – colonel Lanoir président de la commission militaire de contrôle postal, Tunis, le 29/11/1915, doc n° 8, 9 p, p 1 et 2.
107. Ibid.
108. A.N.T, E 440A, 18/345, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois d'octobre1916, L'officier interprète de 1er classe : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : G.Lanoir, doc n° 15, 20p, p 5.
109. I.S.H.T.C, Château de Vincennes, service Historique de l'armée de terre, bob .S.73, C7N 1001, 739 f, rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pour le mois de décembre 1916, f 45-46.
110. A.N.T, E 440A, 18/344, Rapport du 20 ou 31 octobre 1915, L'officier interprète de 1er classe : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal de Tunis, Lanoir, Tunis, le 31/10/1915, doc n° 5, 6 p, p 1 et 2.

111. خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية، ص 266.

112. المرجع نفسه .

113. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, bob.P 84, C 1672, Le résident général de la république Française à Tunis à Briand, président du conseil, ministre des affaires étrangère, à Paris, Tunis le 4/1/1916, f 61.
114. A.N.T, E 440A, 18/345, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de juillet 1916, L'officier interprète de 1er classe chef de bureau : Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant-Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : G.Lanoir, Tunis, le 30/7/1916, doc n° 11, 14p, p 3.
115. Ibid.
116. I.S.H.T.C, Quai d'Orsay, guerre 1914-1918, bob.P.57, C 1507, Paris, le 16/6/1915, signé : André Honnorat, f 10.
117. O.Depent « La main d'œuvre indigène de l'Afrique du nord en France », Réforme sociale, Bulletin de la société économique, sociale et des unions de la paix sociale, (1923), p 664-665.
118. Depent. Op.cit, p. 655.
119. A.N.T, E 440A, 18/346, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de juin 1917, L'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal : Lanoir : doc n° 6, 43p, p 19.
120. Ibid, p. 18.
121. A.N.T, E 440A, 18/346, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de janvier 1917, L'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal de Tunis : Lanoir, Tunis le 31/1/1917, doc n° 1, 34p, p. 18-19.
122. Ibid.
123. Ibid, Rapport sur les opérations de la commission militaire de contrôle postal de Tunis pendant le mois de juin 1917, L'officier interprète de 1er classe: Boyac, vu et transmis : Le Lieutenant- Colonel, président de la commission militaire de contrôle postal: Lanoir, doc n° 6, 43p, p 21.
124. Ibid, E 440A, 18/347, Rapport sur les opérations de la commission militaire de controle postale de Tunis, pour le mois de décembre 1918, doc n° 1, 65 p, p. 16.